# ثنائية (الأنا والآخر)في ديوان ابن الحداد الأندلسي (ت480هـ)

**سماهر جبار عبد الحسين الحسناوي**

**أ.د حازم علاوي عبيد الغانمي**

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الأنسانية – قسم اللغة العربية

hazim.alawy@uokerbala.edu.iq

Samaher20iq@gmail.com

**الملخص:**

الثنائية الضدية بنية لغوية متقاطعة اللفظ والمعنى متباينة،ظاهرة في النسق مضمرة ،تظهر في تباينها إبداعاً وجمالاً شعريين ،والهدف من البحث إظهار التضادات في شعر ابن الحداد الأندلسي ومحاولة الوقوف على تشكيلاتها ،فهي أنعكاس لشخصيته التي بدا واضحاًمن خلال البحث أنها تموج بالتناقضات مانعكس على شعره فبثها به معبراً عن خلجات نفسه ، دراستها وتحديد أبعاده عند ابن الحداد ،وهوشاعر اندلسي عاش في القرن الخامس الهجري وتثقف ثقافة عصره عالماً وشاعراًله ديوان شعر،أحتوى على مجموعة من الثنائيات الضدية التي عبر فيها عن أفكاره ووجهات نظره ونقل جوانب من ثقافة عصره في ضوء تناوله لهذه الثنائية المتمثلة بالأنا والآخر ،فجاءت الدراسة لتظهر صراع المتضادات وبيان اثرها الجمالي والإبداعي في الديوان ،فجر من خلالها الشاعر مكامن الجمال واضاء بنيتها الشعرية بمعانيها الجدلية وفلسفتها الدلالية.

**الكلمات المفتاحية:**– ابن الحداد الأندلسي ،الأنا ،الآخر، اشعار ابن الحداد الأندلسي

**المقدمة :**

العلاقة بين الأنا والآخر علاقة جدلية افتراضية ،فقد تكون الأنا على حساب الآخر ،أو إلغاء الآخر لصالح الأنا ،وهذه العلاقة قائمة على ثنائية الأشياء ،وعلاقة التضاد القائمة بينهما، واستحالة الدمج بين هذه الثنائيات ،مثل الموت والحياة ،والصواب والخطأ، والخير والشر، إلى غير ذلك من العلاقات الثنائية ،والضدية التي تحكم منطق الأشياء .والصراع بين الأنا والآخر ،صراع طويل يرتد إلى البدايات الأولى لوجود الإنسان على هذه البسيطة ، بداية الخلق الأول في الأرض ،بوجود ــ آدم عليه السلام ــ وحواء ،ويدخل في أخص العلاقات الإنسانية ،كما نرى ذلك واضحاً في الصراع بين الأخوين قابيل وهابيل ،وقد تقترب هذه الغيرية أو تبتعد بين الأطراف ،ولكنها لا تلغى بل تبقى قائمة ،لأنّ العلاقات الإنسانية بطبيعتها قائمة على أساس التغاير لا التمازج، وفقا للمصالح الذاتية والاعتبارات الخاصة التي قد تقترب أو تبتعد عن مصالح الآخرين واعتباراتهم الخاصة.[1]

وعادة ما ينظر الأنا إلى نفسه على أنه الأكمل والأصوب والأفضل ،والأخر هو الناقص والخاطئ والأسوأ، وهذه النظرية العدائية أو الضدية بين الأنا والأخر في مجالات السياسة والفكر والفلسفة والأدب ...إلى غير ذلك من مجالات الحياة والمعرفة [2].

لقد شكّل حضور الأنا في الشعر العربي ظاهرة أدبية استرعت اهتمام النقاد والدارسين، فهي ظاهرة لا تختص بعصر دون آخر ،فأصبح مفهوم الآخر في واقعنا المعاصر يتمثل بأوجه عديدة ،كلٌّ يفسره حسب موقعه ومنطلق تفكيره وهذا الأمر أفرز لنا صراعا بين "الأنا "و "الآخر" حيث إنَّ معرفة حقيقة الذات في القول "بالأنا" يستوجب الوعي "بالأخر" وإنْ غاب أو انعدم هذا الأخير فإنّه من الصعب الحديث عن إدراك حقيقي بالذات أو الأنا بشكل عام [3]

**التمهيد:**

**اولاً: ابن الحداد الأندلسي وعلاقتهُ بالآخر:**

ابن الحداد:هو أبي عبد الله محمد المعروف بأبن الحداد النميري الوادي آش[4]المتوفي سنة(480هـ)والمشهور بغزلياته في المسيحية نويرة ،يقول ابن بسام "وكان أبو عبد الله قد مُني في صباه بصبية نصرانية ذهبت بلبه وركب إليها أصعب مركب فصرف إليها وجه رضاه ،وحكُمها في رأيه وهواه، وكان يسميها نويرة كما فعله الظرفاء قديماً في الكناية عمن أحبوه وتغيير أسم من علقوه"[5]أستطاع(ابن الحداد)أن يضفي الغزل على ذلك الجو النصراني السمح بأسلوب قصصي رائع ممتع جميل،فحفل شعره شعره بذكر كل ماله علاقة بالجو المسيحي كالتثليث والإنجيل وعيسى والقس والصلبان ...الخ،أنّ استعمال ابن الحداد لألفاظ تنم عن فضاء مسيحي ،واستعماله لهذا المعجم ،ليس نابعاً من ولعه بالمسيحية، وانّما كان يروم النفاذ الى فؤاد نويرة المتمسكة بدينها،ورغبة ملحة من (أنا )الشاعر في التمكن من إقناع (الآخر) نويرة بحبهِ،فقد ظل مرفوضاً من طرف أهل نويرة ،ونويرة نفسها ظلت تتثاقل وتواجه بالصدود،ولعل السبب في كل ذلك راجع إلى تلك النفرة الطبيعية بين المسلمين وأهل الذمة،والتيمردّها الخلاف في مسائل جوهرية، وكان مما أذكى الصراع الكبير الذي أشتد بين الممالك النصرانية والدولة الأسلامية في الأندلس،فهم بالنّسبة إليه آخر مغاير له،ونويرة فرد من هذا الآخر، ويحاول الشاعر تقليص هذه المغايرة باستغلال معجم فضاء النصراني ،إلا أنّها كانت تُصر على البقاء "آخر"بالنسبة إليه.[6]

**ثانياً: مفهوم الأنا والآخر:**

مفهوم الأنا لغة: "اسمٌ مُكنًّى ،وهو للمُتَكلمِ وَحدَهُ ،وإنّمَا يُبنَى علَى الفتْحِ فَرقاً بينَهُ وبيْنَ أنْ، التّي هي حَرفُ نَاصبٌ للفعلِ ،والألَفُ الأخيرَة إنّمَا هي لبيانِ الحَركَة في الوَقفِ"[7]

وهو"ضميرُ رفْعٍ منفصِلْ للمُتكلمِ ،أو المُتكلمَة" [8] فا لأنا هو وصف للشخص المؤنث أو المذكر على حد سواء مصوراً لذاته وعاكسا لشخصيته. وهذا ما جاء في معجم المحيط ضميرُ رَفعٍ منفصِلْ للمتكلّمْ مذكراً ومُؤنثاً، مثناه وجَمعه نَحنُ"[9]فمن خلال ما تقدّم يتبين بأنّ الأنا هي وصف للشخص المذكر أو المؤنث يخص المتكلم وحده، وهذه الأنا تصور الشخص أو الفرد وتعكس شخصيته وأفعاله.

مفهوم الأنا الأصطلاحي :من الصعب تضييق النطاق على مفهوم الأنا لحصر معناه فهو "مصطلح مراوغ يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي ،لأنّه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الأنسانية(الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، علوم العربية ،العلوم السياسية ...إلخ"[10]

ففي الفلسفة يعد الأنا بالمعنى التقريبي له "النفس" إذ نجد ذلك عند كثير من الفلاسفة مثل "روني ديكارت" حيث قال: "أنَا أَفكِرْ إذَن أَنَا مَوجُود" [11]فديكارت يرى بأنّ الفكر مرتبط بالوجود فكوننا موجودين يعني أنّنا دائما نفكر في صحة الأشياء من حولنا وهذا التفكير يُبنى على أساس الشك ليصل بذلك إلى حقيقة مفادها" أنا صفته التفكير"[12]

مفهوم الآخر لغة:" الآخر "تأخر ،والشيء جعله بعد موضوع هو الميعاد أجله(تأخر)عنه جاء بعده ،وتقهقر عنه ولم يصل إليه، والآخر أحد الشيئين ،ويكونان من جنس واحد، فالآخر ...جاء هنا بمعنى الغير والمخالف قال المتنبي :

ودع كلّ صوت غير صوتي فإنني  أنا الصائح المحكي والآخر الصدى"[13]

"الآخر في الأصل الأشدُّ تأخراً في الذكر ثم أجرى مجرى غير، ومدلول الآخرفي اللغة خاصٌ بجنس ما تقدَّمهُ فلو قلت جآءني رجل وأخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس ما قلتهُ، وقولهم جاءني في أُخريات الناس وخرج في أوْليات الليل يعنون به: الأواخر والأوائل[14]

مفهوم الآخر في الاصطلاح:

إن الحديث عن "الآخر" هو الحديث عن أنا أخرى منظور لها من قبل "الأنا"لأنَّ كل ذات تتحول من "أنا" إلى "آخر" حسب زاوية النظر التي تلاحظ منها لذلك وردت عدة تعريفات في تحديد الآخر ومفهومه[15]

إنَّ الآخر في أبسط صوره هو مثيل نقيض" الذات"(الأنا)،فهو كل ما كان موجودا خارج الذات المدركة ومستقلا عنها، "وفي تاريخ الفكر، كما في العلوم الإنسانية، احتلَّت موضوعات الآخر ــ وماتزال ــ مكانة بارزة نظرا لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة :الأنا /الذات ــ الهوية (...)فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي نعيش معه تجارب كالقرابة والصداقة والجوار ،أو كالمنافسة والخصومة والعداء ...وهذه التجارب وسواها تحدد بتنوعها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها إمّا على صعيد الوعي او في حقل السلوك والفعل "[16]

**فاعلية الأنا والآخر في اشعار ابن الحداد الأندلسي**

برزت الــ (أنّا)في شعر ابن الحداد عالية النبرة أحيانا ومتوازية مع" الآخر " أحيانا أخرى بما تضمنت من صور وتعابير تبعث في النفس الإبداع والافتخار بالذات. والآخر لا يكون في أحيان كثيرة في حالة وفاق مع ال"أنا" وقد يكون في حالة تضاد دائمة معه. شكلت الأنا أبعاد مختلفة في أشعار ابن الحداد، والتي تدور حولها كل الأحداث المحيطة بالنص الأدبي ،فالشاعر يحمله حزنه، وفرحه وألمه وانتشاؤه، وعشقه ،وكرهه إلى التفاعل مع هذه الأحداث والتّموقع داخلها، فأناه في كل الأحوال هي مركز الحدث .

فأبن الحداد شاعر مرهف حسّاس مَلكته العواطف والارتجاجات الحاصلة بين ذاته وما يحيط بها من عوالم ،أسلمته لوضع تشابكت فيه التّفاعلات الحاصلة بين ذاته والآخرين على جميع أصعدة حياته ؛في عشقه لنويرة المسيحية ،في مدحه للمعتصم بن صمادح، في غربته عن المرية والعيش في كنف المقتدر بن هود وابنه المؤتمن ،لقد اسهمت الطبيعة المدحية والغزلية التي أمتاز بها ديوان "ابن الحداد"في التأكيد على هيمنة وجود الأنا الفردية فالشاعر قبل كّل شيء"فرد له نظرته الخاصة ،وقصيدته ليست حادثة من التاريخ الإجتماعي أو ظاهرة من ظواهر حركة أدبية ،وإنّماهي تأكيد لشخصية الشاعر الذاتية المفردة "[17]؛ وعلاقتها بالآخر ،لقد أخذت ثنائية (الأنا /و الآخر)حيزاً كبيراً في ديوانه ،ومنها استفحال الأنا/الشّاعر، المحبة التي وقفت منكسرة ضعيفة متوسلة أمام الآخر ــ المرأة، المحبوبة، فقصة حبّه كانت الحلقة الأضعف في حياته ،لأنها بعيدة المرام ،تراكُمات ضدَّية مسيطرة جعلت منه مسلوب الإرادة ،عاشق مسلم مرفوض أمام حبيبة مسيحية عنيدة متمنَّعة.

كقول الشاعر: (الطويل)

وقلبي على أغصان دوحك طائر ينوح ويشدو والهوى نائح شاد[18]

فأنّاه العاشقة الحائرة تقف في حالة مدّ وجزر ،صراع بين القرب والبعد ،الحضور والغياب، بين النواح والشدو، بين الفرح والسرور،مع "الآخر" تفرضه عليه الحالة الشعورية المركّبة للطرف الآخر ،مخاطباً الآخر بقوله: (مجزوء الرمل)

أيها الواصل هَجري أنا في الهجران صبري

ليت شعري أي نَفع لك في إدمان ضُري[19]

في هذين البيتين تغير المعنى المعجمي للفظة الوصل ،التي لم تعبر عن تحقيق التواصل بقدر ماعبرت عن الهجر المطلق لإقترانها بلفظة الهجر التي حالت دون تحقق اللقاء (الوصل هجري )وهو تشكيل يوحي بالهجران المتواصل ،ليرسم لنا صورة مفعمة بمشاعر الأسى والحرمان ،فـــ(أنا)الشاعر المحبة منصهرة بشكل

كلي داخل الآخر /المحبوبة ،وكأنّه يرسم صورة بذاته لذاته ،،فالوصل محرم، والمرأة المعشوقة غائبة الأحساس به غياباً مطلقاً فهي المقصودة بالخطاب فـــ(الهاء تعود على المحبوبة)،مما جعله أسير لحبه ِ العذري الذي بات حلمً مستحيل التحقق ،الأمر الذي يشير إلى جيشان المشاعر ،وتصاعد الهاجس العاطفي لدى الشاعر الذي وصل به إلى حد المغالاة في الوصف "لأن صدق العاطفة لايبلغ حد المغالاة في المشاعر إلا في مواقع الغزل العفيف المنبعث من حرارة الشوق وظمأ الحرمان "20فَحِرْص الشاعر على التمسك بحبه ،جعله يقع في صراع حقيقي بين دينه ودينها يكاد يفقده هويته الدّينيَّة ليذوب في شريعة دينها. ليس أيماناً منه ولكن عسى أنّ تكون وسيلة توصله إلى مبتغاه ، فعبر عن هذا الحب بقوله: (السريع)

فإن بي للرُّوْم رُوْمِيّةٌ تكنس ما بين الكنيساتِ

أَهِيمُ فيها، والهوى ضَلّةٌ بَيْنَ صَوامِيعِ وَبِيْعاتِ

أفصح وَحْدي يومَ فِصحٍ لَهُمْ بين الأرَيْطَى والدُّوَيْحاتِ[21]

فأبن الحداد الأندلسي ـــ وهو يعبرّ عن هذهِ العلاقة الوجدانية ـــ المتمثلة بارتباطه بـــ"الآخر" محبوبته النصرانية ـــ لم يمنعها انتماؤها إلى المسيحية ،من مواصلة علاقته الصادقة معها وحُبه إيّاها ، وأبياته ناطقة بصدق العلاقة عما مثّله الآخرفي

هذا النص ،إذ احتلَّ معظم التراكيب ،مثل التراكيب الدالة على الدين المسيحي وما يتعلق بطقوسهم ،والهيام والشوق ومنها (أهيمُ فيها، الصوامع ،البيعات ،يوم فصحٍ لهم ،الكنائس ).

إن مشاركة الشاعر، لـــ"الآخر" والارتباط به بهذا المستوى من الارتباط لهو دليلٌ على الاعتراف بحّب العيش معه بكلّ رغبة واندفاع دون أنّ يكون الاختلاف الديني حائلاً بين" الأنا "المسلمة و"الآخر "الحبيبة المسيحية، يدل هذا على أنّ العلاقة بين المسلمين والنصارى كانت طبيعيّة ،فشاعت المصاهرة بينهما ،لذا قدم لنا ابن الحداد مثلما قال الدكتور يوسف علي الطويل محقق الديوان "صورة موجزة عن ذلك التعايش، في شعره الذي استفرغ معظمه في نويرة النصرانية .

لقد ارتبط شعر ابن الحداد الذي قاله في "نويرة" بالدين المسيحي ،فهو يستحضر كل ما يتعلق بهذا الدين حتى يتذكر حبيبته، ويناجيها في حلمه ،كقوله:(مجزوء الوافر)

عَساكِ بحقَّ عِيساكِ مُريحةَ قلبيَ الشَّاكي
فإن الحُسن قَد وَلَّا كِ إحيائِي و إِ هْلاكي
ولمْ آتِ الكنائِس عَنْ هَوي فيهنَّ لولاكِ
وها أنا منك في بلوى ولا فرج لبلواكِ
ولا أسْطيعُ سُلواناً فقد أوثقتِ أَشْراكي
فكمْ أَبْكي عليكِ دَماً ولا تَرْثِينَ لِلبَاكي!
فهل تدْرينَ ما تقْضي على عَيْنَيَّ عَيْنَاكِ؟
نُوَيْرةُ، إن قليتِ فإنـ نَنِي أَهواكِ أَهواك
وعَيْنَاك المُنَبئتا كِ أنَّي بعضُ قَتْلَاكِ[22]

تسيطر الشخصيَّة الواقعية للأخر (نويرة) على حركة السرد في الأبيات ،وذلك من خلال استقصاء علاقة "الأنا" المتمثلة بشخصية الشاعر ؛ لأنّه يعلم أنّها ،أيّ شخصية (نويرة )الواقعية ،لا تمتلك رصيداً معرفياً في ذاكرة المسرود له المتلقي ،وقد اعتمد الشاعر في تعامله السردي مع شخصية (نويرة)الواقعية على ضمير المخاطب المتمثل بـــ "الآخر"، وامتزاجه بضمير المتكلم "الأنا"، على هيئة مناشدة من الشاعر من خلال تحديد شخصية "الآخر" المخصوص بالخطاب معلناً عنه بالبيت ما قبل الأخير، وقد وفق الشاعر في توظيف هذين الضميرين ؛لبيان مدى تأثير شخصية الآخر/نويرة عليه، فبدأ باستحضارها ليوجه إليها الحديث مستعيناً بالصيغة

الذاتية الدالة عليه ، (لم آت ،ولا أستطيع ،أبكي ،أهواك ) وبالصيغة الغيرية الدالة على المخاطب الذي يمارس حضوراً من خلال الأفعال (أوثقت إشراكي ،لا ترثين ،تدرين ) ليوضح لنا عن طريق استحضارها قوة تأثيرها، إذ إنّها تتصف بالحسن ،وجمال النظرة ،الذي جعله يشعر ويحس بأَنَّ شيئاً بداخله يتحرك، ليس إلاّ الولع بالصليب وبعُبّاده من الرهبان والنساك، فدفعه إلى سكب مشاعره التي بدأها بالصيغة الذاتية كما في (لم آت للكنائس لولاكي )23.

ففي كثير من قصائده يؤكد الشاعر لن تكون لثقافة مجتمعه وتقاليده المتضادة مع الشريعة المسيحية المخالفة لشريعته ومِلّته الحنيفية المسلمة عائق أمام حبهِ فالحب أقوى مما تمليه الأعراف والتقاليد، فلو يكترث ابن الحداد لشيء لما أصبح يتردد على الكنائس ، ويمدح ،ولم يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني المسيحية ويبني عليها القافية، لذلك نجدهُ يحاول تخطي الواقع السلبي لعلاقته بالآخر، محاولاً فتح

مجال للحوار يرسمه مع الآخر /المعشوقة الغائبة ،فالشاعر تحترق أناه وهو دائم البكاء والنحيب، لأنّه عاشق ولهان في مقابل الآخر (المرأة)المتناقضة معهُ شعورياً ونفسياً ،هذا دليل إخلاصه بالحب ،على نقيض الأخر اللاهي العابث ، مخاطبها قائلاً: (البسيط)

يا غائبا خطرات القلب محضرة الصبَّرُ بَعْدَكَ شيءٌ لَسْتُ أَقْدِرُهُ

تَرَكْتَ قَلْبِي وأشواقِي تُفَطَّرُهُ ودمع عيني وأحداقي تحدِّره

لوكنتَ تُبِصر في تَمير حالتِنا إذن لأشفقت مما كنت تُبصِره

فالعينُ دونك لا تحلى بلذَّتِها والدّهر بعدكَ لا يصْفو تكدُّرُه[24]

استجداء الحب يحطّم الأنا/الذكوري عنده، بحثا عن نقطة تراجع ،عن زمن يجمع بين حبيبين لم يلتقيا ،فا العلاقة التي تربطه "بالآخر "الحبيبة علاقة انفصال، وقطعية من خلال جملة من المتعلقات منها (ياغائباً)،(الصبر بعدك )،(تركت قلبي وأشواقي )تفرضها عقيدة المجتمع المهيمن بالتوغل في الأنا/الشاعر، "فأبن الحداد كان قد تورط في حب فتاة على دين غير دينه ،وأكثر في شعره من التحدث عن المعاني المتصلة بذلك الدين ، وما أظن أّن مثل ذلك الشعر يحدث صدى كبيراً في بيئة محافظة " 25إشارة إلى أنّ هذه الظاهرة لم تلق تجاوبا عند المجتمع الأندلسي ،لذلك نجد الأنا هنا باهت ،ضعيف ،منضوٍ تحت الآخر المستعلي بغيابه وصدّه وإنكاره إذ" لا يمكن للأنا أنّ تستغني عن الآخر ،كما أنّ الآخر لا يوجد ما يغنيه عنها لتبقى المرأة دائما هي الأقوى في معركة الحياة"26.

إذْ تشكل علاقة (الأنا/بالآخر)حركة ضدية متعاكسة ففوقية الآخر المعشوقته تكسِره وتشعره بالضآلة فيفقد كل لذّة للمتعة لأنّ القرار بيدها، هي التي تتعمد الترك والحرمان ،و الأنا العاشق الخاضع لقرارات الآخر (فوقية المحبوبة /دونية العاشق)إلاّ أنّهما يجتمعان معاً في الخضوع للمجتمع الديني، الذي يفرض عليهم السير في اتجاهين مختلفين ،يحكم عليهم بالتباعد والهجر، فحضور أحدهما يفرض غياب الآخر.

ابن الحداد هذا العاشق الذي أظهر الانفعال لحب أسطوري، كان أول الشعراء الذين طرحوا فكرة حب متعدد الأديان في المجتمع الاندلسي، جمع كل الطوائف وكلّ النّحل والرّسالات، فلم تكن توجد حينها نظرة استهجان مجتمعي لهذه الظاهرة فقال:

(الطويل)

وبين المسيحيات لي سامِرية بَعيدٌ على الصَّبّ الحَنيفيّ أن تدْنو

مُثَلَّثَةٌ قد وَحّد الله حُسنَها فثُنِّيَ في قَلْبي ،بها الوَجدُ والحُزن[27]

يصف الشاعر محبوبته بالتفرد، من بين المسيحيات كلهنّ شغفته واحدة ،فقط ،ولكنّه لم ينسبها إليهن بل وصفها بالسّامريةٌ، والشّاعر بارعٌ في أنتقاء ألفاظه، فإنّما سماها كذلك تمييزاً لها من سواها من بنات دينها ،لأنّها الوحيدة التي التي أستطاعت غوايتهِ كما أغوى السامري قومهِ ،قال تعالى ((قَالَ فَإِنّا قَدْفتنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضلَّهمُ السامِريٌّ))[28].

ويستبعد بعد ذلك أنّ تقبل حبهِ مادام على دينه، ولعله أراد خلق صورة متضادة بين (الأنا )المسلمة و(الآخر )المسيحية ،ولا أعتقد أنّ للاختلاف الديني دافع لهجر وصد محبوبته بِدليل "لم يقف الزواج أوالتسري بلاسبانيات عند الولاة والأمراء ...بل تعدّاهم إلى عامّة العرب ،وقد ذكر أبناؤهم منّهن بالإضافة إلى أمهاتهم ...فقالوا :ابن الرّومية ،وابن القوطية ،وهكذا "[29] فإذا كان دين الشاعر لا يقف دون حبهِ فلما دين المحبوبة قد يكون حائلاً ،وهذا مايحيلنا إلى وَثَنِيّة مُبْتذلة يتعجب لها ويرفضها قلبُه العاشق قائلاً : (الطويل)

فيا عجبا أن ظلّ قلبي مؤمناً بشَرْع غرامٍ ظلَّ بالوَصل كافِرا

أَرَجِّي لِسُلْوانِي نُشُوْراً، وحُسْنُها يَرَى رأي ذي الإلحادِ أَن ليس ناشِرا

وما زلتُ عن ماهِيَّة الحُسن أَبْحثُ فلم أَلْفِ مَعْنى غير حُسْنِكِ سَاحِرا[30]

فـــ" لأنا" /العاشق ذا قلب مؤمن بشَرع غرام "الآخر" رغم كفرهها بالوصل إذ صوّر الشاعر "الآخر"/المحبوبة بالكفر في شرع الهوى، ويأتي هذا الكفر مقابل صورة ضدية أخرى هي صورة القلب المؤمن بحكم هذا الشرع ،يستلهم الشاعر بناء هذه الدلالة في المعجم الديني (مؤمن ،كافر، شرع)ويقيمها تحديداً على ثنائية (الأيمان /والكفر)،فقلب "الأنا" العاشق دفين ذلك الحب يرجى له نشوراً، أما ، "الآخر" ملحد لا يؤمن بالبعث والنشور، وتدعم ثنائية الكفر والأيمان ،بالبيت الثاني مما يعبر عنه لفظ الالحاد بثنائية أخرى ثنائية (البعث /وجحود البعث) متمثلة برجاء العاشق النشور ونفي المحبوبة لحدوث ذلك البعث أو احتمال حدوثه، فتتصادم في ذاته جدلية الإيمان والكفر، "الأنا" العاشق خضوع تام "للآخر" المعشوق تفرضه عليه حسنه الساحر الذي يصلح ان يكون قاعدة للتعريف بالحُسْن .

تحيلنا الأنا العاشقة/الشاعر إلى حالة صوفية يغرق فيها العاشق في حب محبوبته بلا أمل مرجو من هذا الحب ،تسمى "منتهى الحب ،لأنّه يرى أَن الحب الوجودي هو أن يحبَّ بلا أملٍ ،ومن طرف واحد ،فيتألّم لحبَّه"31

لقد أمتاز ديوان ابن الحداد بطبيعة مدحية وغزلية لذلك أسهمت "الأنا" الفردية للشاعر بدور مميز في سير الأحداث السردية و(ابن الحداد )بوصفه شاعراً، يجعل له نصيب من ديوانه، من خلال خطابه السردي الذاتي ،سارداً لكل ما يتعلق بماضيه من أحداث وانكسارات فيكون راواي وشخصية سردية في الوقت نفسه.32

ومن أبلغ قصائده تعبيراً عن شخصيته الذاتية قصيدته التي مدح بها المعتصم وختمها بالفخر بنفسه وبمقدرته الشعرية قائلاً: (البسيط)

وتلك عَنقاؤها وافَتكَ مُغرِبةً بِحُسنها فاستوى العِقبانُ والحِدأُ
بدِعُ من النَّظمِ موشِيٌّ الحُلى عَجبٌ تنْسي الفِحولَ وما حَاكوا وما حَكَأُوا
لم يأتِ قبليْ ولنْ يأتي بها بَشرٌ وحقّ أنْ يَخْبَأُ وا عنها كما خَبَأُوا
قبضتُ منها لُيوث النَّظمِ مُجترِئاً وغيُرِ بدعِ من الضرغامِ مُجترَأُ
أَشْجَى مسامِعَهُمْ تِيهاً بِماَ سَمِعُوا ولا تقرُّ لهمْ عينٌ إِذا قرأُوا[33]

تبدو في الأبيات السابقة سيطرة الصيغة السردية الذاتية المتمثلة بضمير المتكلم من خلال الصورة الشعرية لافتخار الشاعر وأعتزازهِ بمقدرته الشعرية التي توفقت على مقدرة الأخر المتمثل بضمير الجمع (هم )العائد على شعراء الأندلس ، "الأنا" الفحل يطغى على ذات الشاعر فهو يرى نفسه أفحل من كل فحول الشعراء قديمهم وحديثه ،فصيغة المخاطب حاضرة في البيت الأول (وهو المعتصم )والغائب (شعراء الأندلس )فالشاعر

يخاطب المعتصم للأبانة عن تميزهُ وتفوقه على جميع شعراء عصره كأنه نسيج وحده وأنّه فوق الجميع ،متعالياً على بقية الشعراء ،لايستطيع" الآخر" مجراتهُ معبراً عن ذلك بقوله (لم يأت ولن يأتي بها بشر)أيّ: ماعرفت الأندلس ولن تعرف شاعراً متميزاً فمثله يجب أن يشار إليهم بالبنان معبراً عن ذلك بقوله : (الطويل)

تجلّت لهم آيات فهمي ومنطقي مُبَيَّنَة الإعجازِ مُلْزِمَة العَجْزِ

ولاحتْ لهم هَمزِيَّة أَوْحَدِيَّة وويل بها ويل لذي الهمز واللمز [34]

فهذه الذات و "الأنا" الطاغية عنده تصدم بمن لا يقدّر قيمتها "الآخر" وهم حسادهِ ومنافسيهِ رغم التميز الذي جعل منه شاعراً مبدعاً ينظم همزية يعجز عن الإتيان بمثلها أفحل الشعراء ليصل به التعالي والمبالغة في تضخيم نفسه أن يبلغها مرتبة الأنبياء والرسل ، وأن ما يأتي منه من شعر إنما وحي ومعجزة نزلت عليه قائلاً(تجلت لهم آيات فهمي /ومنطقي /مبينة الإعجاز /ملزمة العجز).

طغيان وتعالي "الأنا" لديه جعلته ينظر إلى "الآخر" نظرة فوقية ،لدرجة أنّه بلغ فيه الأمر يهدد ويتوعد الآخر المتمثلة بالضمير(هم)في قوله (تجلت لهم)ويصفهم بالدّونية (ويل بها ،وويل لذي الهمز واللمز)إنّه ــ كم يرى الغذامي "يعزز مفهوم التسلط والتعالي الفردي ،ويدفع إلى طغيان الذات المفردة والأنا المتوحدة والمرتبط بإلغاء الآخر ورفض التعددية وترسيخ الصوت الفرد"35.

**الخاتمة:**

إنّ الثنائيات الضدية من الأساليب الفلسفية الفنية التي أكثر ابن الحداد الأندلسي من استعمالها في ديوانهِ ،ولونت قصائدهِ أشكال متنوعة من هذه الثنائيات ،التي اضفت للنص مسحة من التوتر والإثارة ،وماذلك إلا نتيجة لما يحمله الشاعر من جدلية في تفكيره ،فرضتها تناقضات حياتهُ وابرز الثنائيات الضدية في شعره هي ثنائية (الأناوالآخر) ،لقد كانت لهذه العلاقة مجال رحب ،كان للشاعر أداء متميزاً وظف من خلالهِ مشاعرهِ ،وأفكارهِ، وعلاقتهُ بالآخر التي على خلاف مستمر معهُ ،ومدى فهمهِ لأنماط وتغيرات الحياة أنذاك، فماهي إلا تجارب عاشها الشاعر، وأثرت على نفسيتهُ، لهذا تفوق الشاعر من خلالها الوصول إلى أهدافهِ

**هوامش البحث:**

1ــ جمالية العلاقة بين الأنا والآخر:ص1

2ــالمصدرنفسه :ص2

3ــالآخرواشكالية التعريف :ص10

4ــ ديوان ابن الحدادالأندلسي،ص8

5ــ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ص168

6ــ مجلة دراسات اندلسية 14،ص38

7ــ لسان العرب مادة (أنا)

8ــالمعجم الوسيط :ص28

9ــ محيط المحيط :18

10ــالأنا في الشعر الصوفي :ص187

11ــ التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر:ص192

12ــ المصدر نفسه :ص191

13ــ ديوان المتنبي ،ج1:ص291

14ــ محيط المحيط :ص5

15ــ الأنا والآخر في ديوان أبي نواس:ص12

16ــ في معرفة الآخر:ص5

17ــ إليزابيث درو،الشعر كيف نفهمه ،ص:189

18ــ الديوان :ص106

19ــ الديوان :ص221

20ــ فن الأسلوب :ص405

21ــ المصدر نفسه :ص175ــ 185

22ــالديوان :ص241ــ 242

23ــبنية الشخصية في ديوان ابن الحداد الأندلسي :ص146ــ 147

24ــ المصدر نفسه :ص209

25ــ تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين :ص130

26ــ دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر:ص324

27ــ الديوان :ص256

28ــ سورة طه :الآية 85

29ــ رحلة الأندلس :ص33

30ــ الديوان :ص215

31ــ العبدة الخاشعة رابعة العدوية :ص106

32ــ النثر الفني في القرن الرابع :ص25

33ــالديوان :ص138

34ــ الديوان :ص223

35ــ النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية :ص252.

**قائمة المصادر والمراجع**

**1ــالقرآن الكريم**

2ــالأنا في الشعر الصوفي (ابن الفارض إنوذجاً)،عباس يوسف الحداد ،دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ،سوريا ،ط2 ،2009م ،ص:187.

3ــ التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالأخر (في الشعر المعاصر)،أحمد ياسين سليماني ،دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق ــ سوريا،ط1، 2009م ،ص:192

4ــ الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، إليزابيث درو ،ترجمة :محمدإبراهيم الشوش، منشورات منيمنة بالإشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت ــ نيروك ،1961م ،ص:140.

5ــ العبدة الخاشعة رابعة العدوية ،أمامة العاشقين والمحزونين ،عبد المنعم الحنفي ،دار الرشيدــ القاهرة ،ط1 ،1991م ،ص:106

6ــ المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية ،تقديم مجمع اللغة العربية ،ط4،2004م

7ــ النثر الفني في القرن الرابع ،زكي مبارك ،مطبعة دار الكتب المصرية ،مؤسسة الهنداوي للنشر،2009م.

7ــ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)،أحسان عباس،دار الشروق ،عمان ــ الأردن ،ط1 ،1997م ،ص:130.

8ــ دراسات اندلسية ،العدد14 ،طبع بمطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار ،تونس،995م

9ــ ديوان ابن الحداد الأندلسي، جمعه وحققه: د.يوسف علي الطويل ،دار الكتب العلمية ،بيروت ــ لبنان ،ط1، 1410هــ ــ 1990م

10ــرحلة الأندلس،محمد لبيب البتوني،دار مصر للطباعة ،ط2 ،1994 م.

11ــ فن الأسلوب ،احمد أدم تويني ، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2017،1م ،ص405:

12ــ في معرفة الآخر،بن سالم حميش، دار الحوار للنشرو التوزيع، سوريا ،ط2 ،2003م ،ص:5

13ــ لسان العرب :أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور،ت(711هــ)،اعتنى به:أمين محمد عبد الوهاب ،محمد الصادق العبيدي ،دارإحياء التراث العربي ،مؤسسة التراث العربي بيروت ،ط3،1419هــ 1999م .

14ــ محيط المحيط :بطرس البستاني ، مطبعة تيبو برس ــ لبنان مكتبة لبنان ــ بيروت ،1987م ،

**الرسائل والأطاريح :**

1ــالأنا والآخر في ديوان ابي نواس ، نور الهدى رواق ، (رسالة ماجستير)جامعة محمد خضيرــ كلية الآداب واللغات ــ قسم الآداب واللغة العربية ،2015 ــ 2016م .

2ــالنقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية :عبد الله الغذامي ،ص252 ،ينظر:الأنساق الثقافية عند الشاعرين ابن الحداد وابن زيدون ،لعبيدي ونوال دريهم ،(رسالة ماجستير)،جامعة محمد خيضربسكرة،كاية الأداب /قسم اللغة العربية ،2019م ،ص:100

**المجلات والدوريات :**

1ــالآخر وإشكالية التعريف ،يوسف محفوظ ،(بحث منشور )مجلة التنويري ،العدد2019،8 م

2ــ جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في سيناريو جاهز لمحمود درويس ،د.خليل عودة ،(بحث منشور)مجلة التنويري

3ــ دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر ، عبد الله حبيب التميمي ،وسحر حمزة كاظم الشجيري ،مجلة بابل للعلوم الإنسانية ،مج 22، العدد2 ،2014م .

4ــ بنية الشخصية في ديوان ابن الحداد الأندلسي ،د.كريمة عبد جمعة ،مجلة أبحاث ميسان ،مج 17،العدد34 ،2021م ،ص246 ــ 247